مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 04 العدد: 02 سبتمبر 2021 ص ص: 184-204
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

الأدوار السياسية والمذهبية لقبيلة زناتة في المغرب الأوسط

بنو يفرن ومغراوة نموذجا

The political and the religious doctrines roles of the Zenata tribe in central Maghreb

the case of Banu Yefren and Maghrawa

شرف عبد الحق[1]، حاج عيسى إلياس[2]♦

[1] abdelhak.cheref@univ-tiaret.dz جامعة ابن خلدون تيارت

[2] ilyes.hadjaissa@univ-tiaret.dz جامعة ابن خلدون تيارت

تاريخ الإرسال: 2021/05/30 تاريخ القبول: 2021/07/26 تاريخ النشر: 2021/09/30

الملخص باللغة العربية:

ساهمت قبيلة زناتة بفروعها الكثيرة، في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، بأدوار سياسية ومذهبية، وربما كانت هذه القبيلة هي الوحيدة من بين قبائل البربر التي لم تختف من مسرح أحداث المغرب طيلة العصر الوسيط. فقد ظهرت جراوة وزعيمتها الكاهنة في مرحلة الفتح، ثم تقاسم بنو يفرن ومغراوة الأدوار طيلة الحكم الفاطمي. كما تقاسم بنو يلومي وبنو ومانو الأدوار خلال العهد الحمادي، ثم تمكّن بنو عبد الواد من تتويج التراكمات الزناتية في المغرب الأوسط بتحقيق تجربة سياسية ناجحة، مع منافسة بعض الفروع لها، مثل بنو توجين.

سنسعى من خلال هذه الورقة البحثية، التركيز على أكبر فرعين من فروع هذه القبيلة، هما: بنو يفرن ومغراوة، اللتان دارت الكثير من الأحداث حول الزعامات المؤثرة لهما. فقبيلة بنو يفرن ظهرت فيها شخصيات: أبو قرّة اليفرني الصفري، وأبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني النكّاري، ويعلى بن محمد بن صالح اليفرني المالكي. وكذلك ظهرت في قبيلة مغراوة، أسرة بني خزر التي استأثرت بأدوار محورية، لأجيال متعاقبة. وبالإضافة إلى التجارب السياسية

♦ حاج عيسى إلياس

والعسكرية، كان لهذه القبائل انتماءات مذهبية متباينة، بدأت صفرية ونكارية ووهبية، ثم انتهت مالكية.

الكلمات المفتاحية: زناتة؛ بنو يفرن؛ مغراوة؛ النكّار؛ أبي خزر

Abstract: The Zenata tribe with its branches have contributed in the middle age history of the central Maghreb in both political and ritual fields, and it is considered the unique one amongst the Bereber tribe which continued to play its role in different events of the whole middle age, and for example, the Djeraoua lead by Kahina have been involved in history in the beginning of the Arab conquest, then came Banu Ifren and Meghrawa to appear in the events of the Fatimid era, and the Banu Ylumi with the Banu Wamanu have shared roles during the Hammadit era, and later the Banu Abd Elwad have succeeded their political experience after concurrency with other tribes.

This paper aims to highlight the role of the main branches of the Zenata tribe, the Banu Yefren and the Meghrawa and their concurrency of leadership between their respective chiefs and religious doctrines.

Keywords: Zenata; Banu Yefren; Maghrawa; Nukkar; Abi Khazr

مقدمة

حظيت قبيلة زناتة بدراسات علمية عديدة، ولكن الاهتمام بفروعها لم يلق درجة الاهتمام نفسها، ولم تُفرد لها دراسات مستقلّة، إلاّ نادراً. ومعروف أن بطون وفروع هذه القبيلة كثيرة، وجلّها كان يستوطن بلاد المغرب الأوس مثل جراوة، بنو واسين، بنو برزال، بنو يلومي، بنو ومانو، بنو توجين، بنو عبد الواد، بنو راشد. ويعتبر بنو يفرن ومغراوة، من أهم بطون هذه القبيلة، عدداً وانتشاراً وتأثيراً. ونشير بالمقابل إلى تقاسم قبائل أخرى لنفس المجال الزناتي، وهي ليست من زناتة، وعادةً ما يقع الالتباس حولها، بحكم التشارك في المجال ونمط العيش. ويرجع الفضل إلى ابن خلدون الذي فصّل وقسّم القبائل والبطون والفروع، ومن تلك القبائل، نذكر: نفوسة، نفزاوة، لواتة، مطغرة، لماية، مطماطة، مغيلة، مديونة، كومية.

نطرح من خلال هذه الورقة البحثية إشكالية الأدوار السياسية والمذهبية لقبيلتي مغراوة وبني يفرن في المغرب الأوسط، بناءً على تجاذبات

واستقطابات وسياقات تاريخية معيّنة. ونسعى من وراء هذا البحث إلى إضافة لبنة في مسار دراسة الفئات الاجتماعية للمغرب الأوسط، وخاصة القبليات التي جاء الاهتمام بها على هامش قبليات الدولة والسلطة.

1-أدوار زناتة خلال العصر الوسيط

تعتبر زناتة من قبائل البربر القليلة التي حافظت على الحضور والتأثير السياسي والمذهبي طيلة العصر الوسيط، وكلما اختفى تأثير بطن ظهر بطن آخر، ونحن هنا نستحضر رسالة حسان بن النعمان للخليفة عبد الملك بن مروان، بعد هزيمته من الكاهنة، وقوله فيها: "وإنّ أمم المغرب ليس لهم غاية، ولا يقف أحد منها على نهاية، كلما بادت أمة خلفتها أمم، وهي من الجهل والكثرة كسائمة النعم"[1].

ويمكن ترتيب الأدوار السياسية للفروع الزناتية خلال العصر الوسيط، كما يلي:

- **قبل الفتح الإسلامي** : كانت الكثرة والرئاسة في جراوة .
- في **مرحلة الفتح وعصر الولاة** : كانت الكثرة والرئاسة في بني يفرن ومغراوة .
- **في مرحلة حكم صنهاجة** : كان الظهور لبني يلومي وبني ومانو
- **في مرحلة ما بعد الموحدين** : بنو عبد الواد بالمغرب الأوسط، وبنو مرين بالمغرب الأقصى، وبنو توجين بالونشريس، وفلول مغراوة[2].

إن هذا التقسيم لا ينفي مبدأ التداخل والنسبية؛ ذلك أن مغراوة مثلاً ورغم زوال تأثيرها بعد نهاية حكم آل بني خزر، إلاّ أنها حافظت على حضورها في مناطق الظلّ والهامش، مثل واحات أريغ ووارجلان ولغواط. وفي ذلك يقول الوارجلاني الذي عاش خلال القرن 6 هـ/12 م، في قصيدته الحجازية مبيّنا مكانة مغراوة بين قبائل زناتة الأخرى:

1- ابن عذاري المراكشي (ت. بعد 712هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح: ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2009م، ص: 36

2- بن عميرة محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص: 21

ومغراوة عليا زناتة كلّها وغيرهم من خير أهل الجزائر[3]

كما نلمس النسبية في الانتماء المذهبي لبطون زناتة، كأن تكون فروع من يفرن على مذهب الصفرية، وأخرى على السنيّة، أو تكون بطون من زناتة إباضية ثم تتحول الى سنية، ولكن تبيان الفوارق الحقيقية بين هذه التقسيمات والتصنيفات أمر في غاية التعقيد، وهو ما عبر عنه ابن خلدون حين حديثه عن جدلية الانتماء المذهبي لبني يفرن، بعد أن بسط القول حول إمارة أبي قرة اليفرني الصفري، إذ يقول: "وكثير من الناس يقولون: إن بني يفرن كانوا على مذهب أهل السنة كما ذكره ابن حزم وغيره والله أعلم". من الدلالات التي يحملها هذا القول، هروب بنو يفرن من ماضيها الصفري، مثلما تنكّرت بعض قبائل كتامة من ماضيها الإسماعيلي، ومثلما تنكّرت بعض قبائل البربر من نسبها، وجعلت لنفسها نسبا عربيا.

وعن الولاء والتبعية السياسية، ظهرت ثنائية صنهاجة-زناتة، وشاع ولاء صنهاجة للفاطميين، وتبعية زناتة للأمويين في الأندلس، وهو ما أشار إليه صاحب مفاخر البربر في سياق حديثه عن علاقة الأمير الأموي عبد الرحمن بن محمد بقبائل العدوة، قائلاً: "وتخطاهم عبد الرحمن إلى من خلفهم من زعماء قبائل البربر يستألفهم، ويحمل أهل الطاعة على أهل المعصية منهم، مسدا لمن عجز برجاله، مقويا لمن ضعف بماله، متفقدا لهم في سائر الحالات بألطافه، متعهدا بوجوه رسله وخواضه إلى أن تميز أكثر بوادي زناتة في حزبه وارتسموا بطاعته، ولا سيما عند امتياز أضدادهم صنهاجة في حزب أعدائه بني عبيد الله".

وظهرت القبيلتان، وكأنهما تمارسان حروبا بالوكالة؛ إذ أن التنافس الحقيقي كان بين الفاطميين والأمويين، لكنهما لم يشتبكا في قتال قطّ. والنماذج المصدرية تؤكد على هذه الحالة، فقد كان زيري بن عطية الخزري المغراوي، يدعو لبني أمية، في زمن الحاجب ابن أبي عامر، وكان "يحارب أعداءه وأضداده صنهاجة أمراء إفريقية." ويمكن القول إن أهم بطون زناتة: بنو يفرن ومغراوة، كانا في خدمة الدولة الأموية بالأندلس، ضدّ المصالح الفاطمية بالمغرب[4]. ولم يمنع ذلك حكام الأندلس، من زرع الشقاق بين القبيلتين، كلما

3- الوارجلاني. أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي (ت.570هـ/1175م)، رحلة الوارجلاني، تح: يحي بن بهون حاج امحمد، mps، الجزائر، ط1، 2006، ص: 38

4 - C. Agabi, « Ifren (Beni) », *Encyclopédie berbère* [En ligne], 24 | 2001, Éditeur Peeters Publishers, p.3658

سنحت الفرصة لذلك، كما حرص المنصور بن أبي عامر إلى زرع التوتر وإدامته بين زيري بن عطية المغراوي ويدّو بن يعلى اليفرني.[5]

2-مرحلة جراوة

في كلّ مرحلة تظهر فيها قبيلة على مسرح الأحداث، كان العامل المؤثّر، هو كثرة العدد، وكذلك الأمر بالنسبة لجراوة التي قال عنها ابن خلدون: "كانت هذه الأمة من البربر بإفريقية والمغرب في قوة وكثرة وعديد وجموع."[6] وكان معقلهم وموطنهم بجبل أوراس.

وكانت محاربة جراوة بقيادة الكاهنة لجيش الوالي حسان بن النعمان سنة 74 هـ، بمساعدة قبائل أخرى من البتر وزناتة، على رأسها بني يفرن.[7] وجراوة كذلك اسم طوبونيم، عبارة عن مدينة من جهة تلمسان، وصفها ابن عذاري، بأن فيها قصبة مانعة وبها خمسة حمامات، وجامع له خمس بلاطات، أسّسها أبو العيش عيسى بن إدريس سنة 257 هـ. وكان لها أربعة أبواب، وحولها فحوص للزرع والضرع. وهي تقع في مجالات زناتة؛ إذ تحيط بها قرى مَدْغَرة على البحر، وفي الجبل بنو يَزْنانَنْ، ومن الشرق بنو يفرن، ومن الغرب قبائل زواغة.[8]

3-مرحلة بنو يفرن

في إطار الربط بين المبادرة السياسية والمذهبية للقبائل المغربية وبين الكثرة العددية، تصف المصادر، بنو يفرن بأنهم "من شعوب زناتة وأوسع بطونهم...وكان بنو يفرن هؤلاء لعهد الفتح أكبر قبائل زناتة وأشدّها شوكة، وكان منهم بإفريقية وجبل أوراس والمغرب الأوسط بطون وشعوب"[9]. وأكثر بطونهم تمتد من نواحي تلمسان إلى جبل بني راشد (لعمور حاليا)، وهم من اختطّ

5- عبدلي زوبيدة/هيصام موسى: "**قبيلة مغراوة الزناتية في ظلّ الصراع بين الأمويين بالأندلس وبني زيري الصنهاجيين حلفاء الفاطميين ببلاد المغرب (361-391هـ/971-1001م)**"، مجلة عصور الجديدة، مجلد11، العدد2 (جوان) 1442هـ/2021م، ص: 115

6- ابن خلدون. أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن (ت.808 هـ/1405م)، تاريخ ابن خلدون، ج2، مرا: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، لبنان، 1434 هـ/ 2013م، ص: 2066

7- نفسه، ص: 2066

8- ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص: 196

9- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص: 2068

تلمسان حسب ابن خلدون.[10] واستوطنت طائفة منهم منطقة الزاب، إلى أن أجلاهم منها الهلاليون فاتجهوا جنوبا إلى وارجلان[11]. ويُعتقد أن لفظ يفرن، اشتقّ من "إفري" والذي يعني في اللسان البربري "المغارة أو الكهف"، وربما كانت الأجيال السابقة لهذه القبيلة تحفر المغارات والكهوف في الجبال ويسكنها، وهي الصورة التقريبية التي حافظت عليها مناطق مطماطة في الجنوب التونسي، وجبل نفوسة في ليبيا[12]. كما توثّق الاسطوغرافيا الاباضية حضور يفرن في محيط وارجلان كمدلول طوبونيمي. ففي مخطوط مجهول عن وارجلان نقرأ فيه: " من إفران إلى وارجلان إلى جبل العباد إلى عين البغل ثلاثمائة وخمسة وعشرون بلدا، كلها إباضية"[13]. وفي دراسة أخرى، فإن إفران قرية من قرى وارجلان، يسكنها بنو يكشن[14]. يشكّل انتشار بنو يفرن صورة مصغّرة لانتشار زناتة، إذ أن بطونهم متفرقة في المواطن، منهم بنو واركو ومرنجيصة بافريقية، وأكثر فروعهم ما بين تاهرت وتلمسان[15].

1.3. أبو قرّة اليفرني

تتفق المصادر أن بني يفرن كان لها مساهمة فعالة في تبنّي الحركات الصفرية والاباضية في بداياتها، وجاء قول ابن خلدون داعما إذ يقول: "وضرب فيه يفرن هؤلاء بسهم وانتحلوه وقاتلوا عليه"[16]. وجسّد ذلك التأثير شخصيات منهم، منها أبو قرة اليفرني الصفري، وأبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني النكاري الاباضي، في المغرب الأوسط.

وبايع بنو يفرن أبا قرّة في تلمسان سنة 148 هـ/765م، ودخل في مواجهات مع ولاة الدولة العباسية، وشارك في حصار طبنة سنة 150 هـ/767م في

10- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص: 2068

11- المعموري محمد عبد الله ومحيميد أحمد جاسم: "**قبيلة زناتة وأثرها في حركة الخوارج في المغرب العربي**"، محلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع15، 2015، ص: 320

12 - C. Agabi, op.cit., p.3657

13 - مجهول، تاريخ وارجلان (مخطوط: ورقتين)، ورقة1.

14- بوراس يحي، قرى وأسماء مواضع في إقليم وارجلان من خلال ثلاثة مصادر تاريخية، حوليات المتحف الوطني للآثار، الجزائر، ع:10، 1422-2001، ص: 90-134

15- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص: 2072

16- نفسه، ص: 2068

أربعين ألفا من الصفرية، وكان فيها عمر بن حفص بن أبي صفرة، ثم حاصره مرّة ثانية في القيروان، وهو الحصار الذي هلك فيه عمر بن حفص. وتقدم بعض المصادر رقما خياليا لجيش أبي قرّة المشارك في الحصار، والمقدّر بـ: ثلاثمائة وخمسون ألفا[17].

ولا تقدم المصادر سياقاً واضحا ومقنعا للطريقة التي أفل فيها نجم أبي قرّة، سوى القول إنهم قد استكانوا واستقاموا في عهد الوالي يزيد بن حاتم. ثم لم يكن لهم بعد ذلك ظهور، إلى غاية ظهور أبي يزيد مخلد بن كيداد.

2.3. أبو يزيد مخلد بن كيداد

حظيت شخصية أبي يزيد باهتمام لافت من طرف مؤرخي المغرب الوسيط (إسماعيلية ومالكية ووهبية)، بشكل يتناسب مع درجة تأثيره السياسي والعسكري. وتتفق تلك الكتابات ومن منطلقات مذهبية خالصة على تسفيه الرجل وتفسيقه وتكفيره. وبالمقابل لا نكاد نعثر في كتابات النكار الفقهية النادرة على شخصية أبي يزيد لكي تدافع عنه أمام هجمة المصادر، ممّا يجعل مهمّة الباحث حرجة للغاية.

ولقد ظهر موقف الكتابات واضحا من الرجل وثورته منذ البداية، فلم تكلف نفسها عناء البحث عن دوافع الثورة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وحصرته في زاوية مذهبية.

وتركّز المصادر الإسماعيلية والمالكية على الجانب العسكري للرجل، بينما تركّز المصادر الوهبية على بعض الجوانب المذهبية في حياته، وكل ذلك في سياق موغل في السلبية.

ويعود أبو يزيد إلى قبيلة بني واركو، وهم فخد من بني يفرن. بينما نسبه ابن الرقيق إلى بني واسين، وهو قول ضعيف، لأن الذين نسبوه الى يفرن قد اعتمدوا على سند رواية ابن حزم عن أبي يوسف الوراق، عن أيوب ابن أبي يزيد مخلد بن كيداد، حين دخوله الأندلس. وينفرد ابن خلدون بذكر اسم أمه وهي أم

17- من عادة ابن خلدون الوقوف عند هذه الأرقام والحذر منها، لكنه هذه المرة تبنّاها دون تمحيص أو شكّ. انظر: تاريخ ابن خلدون، ج2، ص: 2069

ولد تدعى "سبيكة"، قد يكون والده "كيداد" قد جلبها من بلاد السودان باعتباره تاجراً كان يسافر الى السودان[18].

وقد خالط أبو يزيد هذا؛ النكار وتمذهب بمذهبهم، وانتقل الى تاهرت وأخذ من مشيختهم، وكان يقوم بتعليم الصبيان، في منطقة الجريد يتنقل بين مدنها وخاصة توزر وتقيوس. وبعد عودته من الحج سنة 325 هـ، أصبح ينتقل بين وارجلان وأوراس وبني برزال بالقرب من المسيلة، وبني زنداك من مغراوة، وكوّن منهم نواة جيشه، وبدأت تحركاته سنة 331 هـ.

هذا؛ وساهمت بطون من زناتة ومزاتة وهوارة في الوقوف إلى جانب أبي يزيد، ووقف إلى جانب الفاطميين، كتامة وصنهاجة، وأظهر محمد بن خزر الطاعة والولاء للمنصور الفاطمي والاستعداد للمساعدة، وكان طلب المنصور واضحا، هو إلقاء القبض على أبي يزيد، ووعده بهدية كبيرة تتمثل في عشرين حملا من المال[19].

إن تقييم ثورة أبي يزيد انطلاقا من المصادر المالكية والاسماعيلية والوهبية، يجعلنا نصل الى نتيجة واحدة، وهي أن أبا يزيد قد أحدث الفتنة وأساء المعاملة وأكثر القتل، ويعتبر تحديا لكل باحث يروم البحث عن جوانب إيجابية في ثورة أبي يزيد. ولقد وظفت المصادر عبارات موغلة في السلبية تعكس زمن أبي يزيد، تجعل القارئ نفسه، ينأى بنفسه عن التعاطف مع ثورته. فانظر الى عبارات[20]:

- واشتهر عنه تكفير أهل الملّة وسبّ علي
- شنوا الغارات وأكثروا السبي والقتل والأسر
- ودخلوا القيروان واستباحوها
- أيام الفتنة
- وسرح أبو يزيد عساكره إلى مدينة سوسة فاقتحموها عنوة وأكثروا من القتل والمثلة.

18- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص: 2069

19- نفسه، ص:2071

20- نفسه، ص ص: 2069-2071

- وعظم القتل بضواحي افريقية وخلت القرى والمنازل ومن أفلته السيف أهلكه الجوع

- وبعث عساكره فعاثوا في النواحي وأوقعوا بأهل الأمصار وخربوا كثيرا منها

- واستخف أبو يزيد بالناس

وتساوى ابن خلدون مع غيره في الوصف، وعجز عن إيجاد جوانب إيجابية محتملة في ثورته. وبدا واضحا الانحياز لجانب السلطة القائمة، وهذا ما نلمسه من عبارات الإيجاب والودّ التي تعكس الزمن الفاطمي، فانظر الى عبارات:

- حتى إذا كان منتصف محرم كان الفتح، وانهزم أبو يزيد

- فارتحل المنصور إلى بسكرة فتلقاه أهلها.

فهل كان أبو يزيد يمثّل فعلاً هذه الصورة السوداوية التي وصفته بها جلّ المصادر، أيعقل أن يكفّر أهل الملّة ويسبّ عليا رضي الله عنه، ثم ينضم إليه فقهاء المالكية في ثورته ضد الاسماعيلية! أيعقل أن يحقق الانتصارات تلوى الأخرى، بكثرة السبي والقتل والاستباحة والمثلة والتخريب، أَوَلَا تعبّر سرعة انتصاراته على نقمة الناس على دولة الفواطم؟ وهي الفرضية التي لا تبرزها المصادر في توثيق ثنائية النكار والاسماعيلية.

3.3. يعلى بن محمد بن صالح اليفرني

كان رئيس بني يفرن في مجالات تاهرت-تلمسان، المعاصر لأبي يزيد مخلد بن كيداد، هو محمد بن صالح اليفرني، قتله عبد الله بن بكار المغراوي، في صورة تعكس تغذية الفواطم للتنافس القبلي بين مغراوة وبني يفرن. ثم تولّى من بعده ابنه يعلى بن محمد، وفي عهده علا شأن بنو يفرن، وأعلن الولاء لعبد الرحمن الناصر الأموي، واختطّ مدينة ايفكان، التي كانت في الأصل سوقاً من أسواق زناتة. وهي تقع في الطريق بين أرشقول وتاهرت بالقرب من أَسْلَنْ، تقع على سفح جبل وعلى ضفة نهر سيرات. فقام يعلى بن محمد بن صالح اليفرني بتمدينها وشرع في تأسيسها سنة 338هـ، وذكرت إحدى المصادر، من معالمها

العمرانيـة، سـور مـن الطـوب وجـامع وحمّـام وفنـادق، فعمّـرت وتمـدّنت وعظمـت[21]. وحيّزهـا حسـب المستشـرق إميـل فيلـيكس غوتييـه Émile-Félix Gautier، بين تلمسان ووهران والشلف وتاهرت، من دون أن يحدّد موقعها.[22]

وظهـر طموحـه فـي جعلهـا مدينـة محوريـة، فشـجّع "أهـل المعسـكر مـن أهـل تيهـرت ويلـل وشـاطئ بنـي واطيـل ووهـران وقصـر الفلـوس"[23] بالانتقـال إليهـا، إذ جعلهـم روافـد بشـرية لمدينتـه. تلـك المـدن كانـت تقـع تحـت نفـوذه، مثـل وهـران التـي ملكهـا سـنة 340 هـ[24]، وتـاهرت التـي اسـتولى عليهـا بمسـاعدة الخيـر بـن محمـد بن خزر في مظهر جسّد التحالف اليفرني المغراوي.

وتمثـل خطـوة يعلـى نموذجـا مهمـا فـي محـاولات زناتـة العمرانيـة، والتـي لـم يكتـب لهـا النجـاح، علـى خـلاف النمـاذج الصـنهاجية فـي أشـير والجزائـر ومليانـة ولمديـة والقلعـة وبجايـة، التـي وجـدت الحاضـنة السياسـية والحمايـة العسـكرية الفاطمية.

ونتيجـة لقـوة نفـوذه، لـم يجـد الناصـر حرجـا فـي قبـول توليـة رجـالاً مـن بيتـه علـى مـدن المغـرب الواقـع تحـت نفـوذ زناتـة والأمـويين. واسـتمر نفـوذه إلـى غايـة حملـة جـوهر الصـقلّي علـى المغـرب سـنة 347 هـ عنـدها أظهـر يعلـى الإذعـان والطاعـة للفـاطميين، وأظهـر جـوهر قبـول طاعتـه ولكنـه أضـمر الفتـك بـه، وتـمّ لـه ذلـك سـنة 349 هـ، ثـم إنـه عمـد إلـى تخريـب مدينـة ايفكـان[25]. والـرّاجح أن الفـاطميين لـم يرتـاحوا لطموحـات يعلـى التـي جسّـدها بتأسـيس مدينـة خاصـة بـه فـي مجـالات زناتيـة خالصـة، بعيـداً عـن عاصـمة الفـاطميين، وتبعيتـه للأمـويين، كلهـا عوامـل دفعـت بجوهر إلى تفضيل التخلص من حليف مؤقّت لا تؤتمن طموحاته.

21- مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط-المملكة المغربية، ط1، 2005م، ص: 94؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، 749

22- غوتييه. إميل فيليكس، ماضي شمال افريقيا، تر: هاشم الحسيني، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010م، ص: 214

23- البكري. أبي عبيد (ت.487هـ/1094م)، كتاب المسالك والممالك، ج.2، تح: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م، ص.749

24- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص: 2072

25- مجهول، مفاخر البربر، ص: 94-95؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص: 2073

نشير ختاماً أنه كان لبني يفرن أدواراً أخرى في المغرب الأقصى بسلا وفي الأندلس برندة، لا يسمح إطار البحث بالتطرق إليها. وهي أدوار أقلّ تأثيراً، كما خَفَتَ دور بنو يفرن مقارنة بمغراوة، ويعود السبب الرئيسي إلى الضربات القويّة التي تلقتها من الدولة الفاطمية وحليفتها صنهاجة، خاصّة بعد فشل ثورة أبي يزيد، وكان المرابطون هم من ساهم في اختفاء بنو يفرن من ساحة الأحداث السياسية، بعد استيلائهم على فاس وتلمسان[26]. دون أن نغفل علاقة الجفاء السائدة بينهم وبين أبناء عمومتهم "مغراوة"، ممّا هو معتاد بين قبائل البداوة.[27]

4. مرحلة مغراوة

يشكلون رفقة بني يفرن وبني واسين وبني يرنيان، الفخذ الأكبر في قبيلة زناتة[28]، وهم أو من ذكرهم ابن حوقل ضمن بطون زناتة، ثم عبّر عنهم في موضع آخر ببنو ورزمار ملوك زناتة.[29] ووصفهم ابن خلدون بأنهم "أوسع بطون زناتة وأهل البأس والغلب منهم"[30] ومجالاتهم في المغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان. وهم بذلك مجاورون لإخوانهم من بني يفرن.

وانتشروا كذلك في واحات المغرب الأوسط، من وارجلان إلى توات[31]. ومن بطونهم، بني يلنت وبني زنداك، وورتزمير، وبني ورسيفان، ولغواط وبني ريغة الذين سكنوا أريغ، حيث تشير بعض المصادر إلى انتشار لفظ "مغراوة" كطوبونيم في مجال أريغ، ومنها قول الوسياني: "كدية بني مغراوة المعروفة في أريغ"[32] ويبدو أن عدد بطون مغراوة، كبير، حتّى استعمل ابن خلدون عبارة "وغيرهم ممن لم يحضرني أسمائهم"[33] واستطاعت هذه القبيلة في مراحل زمنية

---

26 - C. Agabi, op.cit., p.3658

27- غوتييه، ماضي شمال افريقيا، ص: 215

28 - A. Khelifa, « Maghraoua - Maghrâwa (Tribu) », *Encyclopédie berbère* [En ligne], 30 |, Éditeur Peeters Publishers, 2010, p.4486

29- ابن حوقل النصيبي. أبو القاسم، صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن-هولندة، 1939، ص: 106-107

30- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص: 2077

31- بن عميرة محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية، ص: 19

32- الوسياني. أبو الربيع سليمان بن عبد السلام (ق: 6هـ/12م)، سير الوسياني، ج1، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 2009، ص:347

33- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص: 2077

مـن حكـم المغـرب الأوسـط مـن تـاهرت الـى تلمسـان والمغـرب الأقصـى ومـا والاه إلـى سجلماسة[34].

وتحفـظ الاسـطوغرافيا المغربيـة أن ملـك مغـراوة قـديم يمتـد الـى مـا قبـل الإسـلام، ثـم أقـرهم الفـاتحون علـى ملكهـم لقـدم اسـلامهم ولارتبـاط رمـزهم صـولات بـن وزمـار بالخليفـة عثمـان بـن عفـان، وتنقـل المصـادر أن الخليفـة عقـد لـه علـى قومـه، وهـو يعتبـر جـدّ بنـي خـزر، وقـد تمكّـن حفيـده خـزر بـن حفـص بـن صـولات مـن تأسـيس مملكـة فـي المغـرب الأوسـط، شـكّلت حليفـا اسـتراتيجيا لبنـي أميـة فـي الأندلس، وخصما عنيداً للفاطميين[35].

1.4. بني خزر

يضـم بيـت بنـي خـزر شخصـيات مـؤثرة فـي تـاريخ زناتـة وتـاريخ المغـرب، مـن الفـتح الـى حكـم صـنهاجة، ومـن بـين أمـراء البيـت كلّـه، اشـتهر محمـد بـن خـزر وابنه الخير بن محمد.

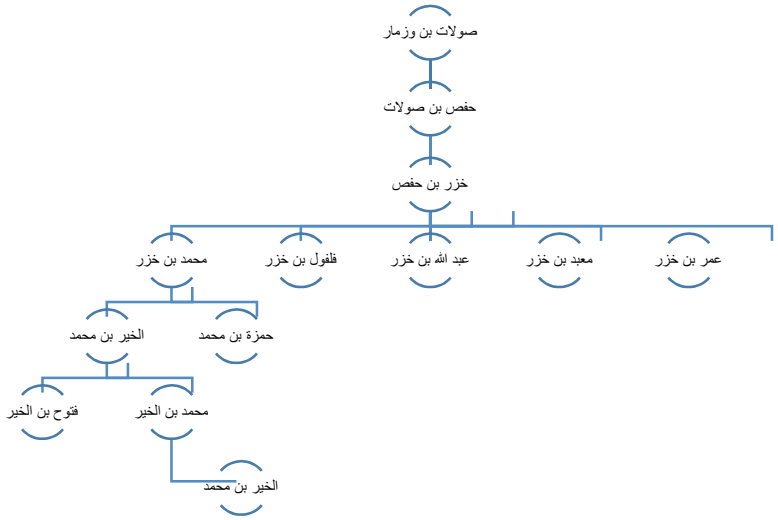

34- ابن عذاري، البيان المغرب ج1، ص: 253

35 - A. Khelifa, op.cit., p.4486

عبدلي زوبيدة / هيصام موسى، قبيلة مغراوة الزناتية، ص: 105

وهـذه شخصـيات هـذا البيـت مـع أدوارهـم السياسـية، بدايـة مـن جـدّهم صولات بن وزمار:

1. **صـولات بـن وزمـار**: كـان أميـر مغـراوة فـي زمـن الفـتح، وتـدّعي المصـادر أنـه التقـى الخليفـة عثمـان، وأقـرّه علـى قومـه، واحتفظـت مغـراوة مـن حينهـا علـى مـوالات المروانيين في المشرق والأندلس.

2. **حفص بن صولات**: كان ملكا على مغراوة وزناتة، وكان من أعظم ملوكهم.

3. **خـزر بـن حفـص**: حكـم فـي ضـعف الخلافـة المشـرقية وثـورات البربـر، منهـا ميسرة المطغري.

4. **محمـد بـن خـزر**: فـي عهـده دخـل إدريـس الأكبـر الـى المغـرب الأوسـط سـنة 174 هـ، فتلقـاه محمـد بـن خـزر وبـايع لـه عـن قومـه مغـراوة، وأمكنـه مـن تلمسـان، وقـد كانـت تحـت نفـوذ بنـو يفـرن. وقبلـت مغـراوة أن تكـون الحواضـر لأبنـاء إدريـس، فكانـت تلمسـان لولـد إدريـس بـن محمـد بـن سـليمان، وأرشـكول لولـد عيسـى بـن محمـد، وتـنس لولـد إبـراهيم بـن محمـد. وبقـي النفـوذ فـي ضـواحي تلمسـان لبنـي يفـرن ومغراوة.

ولكـن المصـادر وعلـى رأسـها ابـن خلـدون، لا يوضـح الخلـل بـين شخصـية محمـد بـن خـزر المعاصـر لشخصـية إدريـس سـنة 174 هـ، وبـين شخصـية محمـد بـن خـزر المعاصـر لقيـام الدولـة الفـاطميين سـنة 296 هـ؛ إذ لا يخفـى الفـارق الزمنـي الكبيـر بينهمـا. ويبقـى محـتملاً أن اسـم محمـد بـن خـزر قـد تكـرّر مـرتين فـي بيـت آل خزر.

ويعتبـر اسـم محمـد بـن خـزر المعاصـر للفـاطميين والأمـويين فـي الأنـدلس، هـو الأكثـر تـأثيراً وشـهرةً. ففـي سـنة 316 هـ أعلـن الـولاء أولا للناصـر الأمـوي وطـرد أوليـاء الشـيعة مـن المغـرب الأوسـط، ماعـدا تـاهرت، وكـان ابـن خـزر يطمـح إلـى تـأمين نفـوذه علـى قبيلتـه وعلـى زناتـة وعلـى مجـال المغـرب الأوسـط، وكثـر منافسـوه مـن أعـوان الأمـويين والفـاطميين، مـنهم حميـد بـن يصـل وأمـراء الأدارسـة، وموسـى بـن أبـي العافيـة، وإخوتـه مثـل فلفـول بـن خـزر الـذي والـى الفـاطميين، ومعبـد بـن خـزر الـذي تحـالف مـع أبـي يزيـد. ثـم عظـم تـأثير محمـد بـن خـزر فـي زمـن ثـورة أبـي يزيد، حيث وصل إلى بسكرة وقضوا على ممثل الفاطميين، زيدان الخصي.

وأثناء الهجوم الكبير للفاطميين على أبي يزيد، تظاهر محمد بن خزر بالولاء لهم، واختبره المنصور بالقبض على أبي يزيد، وأغراه بهدية جليلة (عشرين حملا من المال). وبذلك حافظ ابن خزر وابنه الخير على نفوذهما على المغرب الأوسط، وقاسمهما في ذلك يعلى بن محمد اليفرني.

وكان ممّا شجّع محمد بن خزر في تولية وجهه قبل الشيعة، هي مكانة منافسيه عند الناصر، حيث عقد لحميد بن يصل على تلمسان وأعمالها، وليعلى بن محمد على المغرب، ولحالة الجفاء بين مغراوة وبني يفرن. وظلّ ابن خزر وفيا للفاطميين زمن المعزّ، يفد عليه تارة إلى عاصمته، ويشارك تارة أخرى في غزوات جوهر على المغرب، إلى أن حانت وفاته بالقيروان وقد ناهز المائة سنة.

5. **عمر بن خزر:** من أعقاب محمد بن خزر.

6. **معبد بن خزر:** كان حليفا لأبي يزيد مخلد بن كيداد إلى أن وقع في قبضة المنصور وقتله سنة 340 هـ، ونصب رأسه على أسوار القيروان.

7. **عبد الله بن خزر:** كان ضمن القيادة الزناتية التي زحفت الى تاهرت سنة 333 هـ، مع أبناء أخيه، الخير بن محمد بن خزر وحمزة بن محمد بن خزر، والقائد الأموي حميد بن يصل، وتمكنوا من دخولها عنوة، بعد قتل عبد الله بن بكار وأسر ميسور الفتى. ويعتبر عبد الله هذا، جدّ الفرع المغراوي الذي سيحكم فاس إلى غاية سقوطها في يد المرابطين، وكان من أهم أمرائهم زيري بن عطية المغراوي[36].

8. **فلفول بن خزر:** خالف أخاه محمد بن خزر في موالاة الأمويين، فاختار موالاة الفاطميين، حتى عقدوا له على قبيلة مغراوة، وهذا ما يجسّد اختراق الدول للكتل القبلية الكبيرة، ويساهم في إضعافها. وفلفول هذا جدّ بني خزرون بن فلفول الذين حكموا طرابلس[37].

36- كان مركز حكمه مدينة فاس، وعندما أخرجه منها عبد الملك بن أبي عامر، انسحب الى المغرب الأوسط، واستمال ودّ ابن أبي عامر بمحاربة صنهاجة، فكان يحاربهم من جهة الغرب ووصل الى قاعدتهم أشير، وكان فلفول بن سعيد يحاربهم من جهة الشرق. انظر: مجهول، مفاخر البربر، ص: 124-125؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص: 2080

37- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص: 2087

9. **حمزة بن محمد بن خزر**: كان ضمن القيادة التي زحفت الى تاهرت سنة 333 هـ، مع عمّه عبد الله بن خزر وأخيه الخير بن محمد، وانتهت بدخول تاهرت، لكن حمزة قتل في هذه المعارك.

10. **فتوح بن الخير**: كان ضمن الوفد الذي ضمّ مشيخة تاهرت ووهران الى الناصر الأموي سنة 340 هـ.[38]

11. **محمد بن الخير بن محمد بن خزر**: عاد إلى ولاءه للأمويين في عهد المستنصر، لقدم ولاء ابيه وجدّه للناصر، وتضيف المصادر الولاية التي كانت لبني أمية على آل خزر بوصية الخليفة عثمان بن عفان لصولات بن وزمار، فثار على الفاطميين، وتولى زيري بن مناد مقارعته سنة 360 هـ، ولما رأى محمد قرب نهايته في المعركة، بادر إلى قتل نفسه لكي لا يقع أسيرا.

12. **الخير بن محمد**: خلف والده على مغراوة، وتحالف معه جعفر بن علي ابن حمدون صاحب المسيلة، ودخل في حروب مع صنهاجة، كان من نتيجتها قتل زيري بن مناد، وبعثوا برأسه إلى الحكم في قرطبة. ثم انتقم ابنه بلكين من زناتة وأجلى كثيرا من بطونها إلى المغرب الأقصى، في حملته الشهيرة على المغرب سنة 361 هـ. ولحق بلكين بالخير بن محمد الى سجلماسة وقتله.

كان لحملة بلكين بن زيري على المغرب، تأثير في إضعاف مغراوة، وطرد قبائل زناتية من المغرب الأوسط، وإرغامها بالانسحاب الى المغرب الأقصى، "فأقفر المغرب الأوسط من زناتة وساروا إلى ما وراء ملوية من بلاد المغرب الأقصى"[39]. فكانت لهم بذلك أدوار أخرى خارج إقليم المغرب الأوسط، منهم بنو خزرون بسجلماسة، وبنو خزرون بن فلفول في طرابلس[40]. وأكثرهم تأثيراً، بنو زيري بن عطية بفاس، الذي استرجع مجد مغراوة، وبلغ نفوذها في نهاية القرن الرابع هجري مع زيري بن عطية، مداه بالسيطرة على المغربين الأقصى والأوسط. ولم يجد أمراء صنهاجة، المنصور بن بلكين وباديس بن المنصور بدًّا من تقبّل فكرة نفوذ مغراوة على حواضر المغرب الأقصى، وفضّلا استمالة أمرائهم بالمصاهرة والهدايا، وترك الفرصة لصنهاجة الصحراء

38- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص: 2077-2079

39- نفسه، ص: 2079

40- عبدلي زوبيدة/ هيصام موسى، قبيلة مغراوة الزناتية، ص: 102

(المرابطين)، الذين كان لهم الدور الحاسم في أفول نجم مغراوة سياسياً[41]. وكان تفرقهم وانقسامهم سبباً في عدم قدرتهم على تأسيس ملك قوي وثابت[42]. ويبدو من خلال التجارب والتراكمات السياسية والعسكرية لفرعي زناتة، أن قوتهما وطموح أمرائها، كانت تصطدم بالمصالح العليا للدولتين الفاطمية والأموية، اللتان لم تسمحا بظهور دولة زناتية على مجال مغربي واسع، مستغلّتان في ذلك قلّة النضج السياسي عند زناتة، بالمهادنة تارةً، والاختراق تارةً أخرى. تاركة الفرصة لفروع زناتية أخرى لاحقاً.

5. الأدوار المذهبية

تتوافق جلّ الدراسات، وبناءً على مصادر التاريخ الوسيط، على أنّ زناتة قد تبنّت الحركتين الصفرية والاباضية[43]، في مرحلة أولى. ثم تمكّنت المالكية في مرحلة لاحقة من بسط تأثيرها على القبيلتين، وخاصة في إقليم المغرب الأقصى. وسنركّز في بحثنا على النموذج الإباضي، على ضوء مخطوط مغمور، يحمل دلالات قبلية مهمّة.

1.5. زناتة الاباضية

عندما استولت ورفجومة نفزاوة من الصفرية على القيروان عام 140 هـ، وطردت منها واليها حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب، كان إباضية طرابلس من زناتة وهوارة هم من استعان بهم أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري لإخراجهم[44]. كما تشير المصادر الى أن سجلماسة كانت لها تبعية مذهبية إباضية في حدود 352 هـ، وتولى حكمها رجل يدعى المعتز بالله، بل إن صاحب مفاخر البربر يتحدث عن عودة المدينة إلى أيدي الاباضية، واستمر الوضع إلى غاية سنة 367، وهي سنة سيطرة خزرون بن فلفلول من بني خزر، ووجد فيها مالاً عظيماً وسلاحاً كثيراً[45].

41 - A. Khelifa, op.cit., pp. 4486-4487

42- عبدلي زوبيدة / هيصام موسى، قبيلة مغراوة الزناتية ص: 102

43 - C. Agabi, op.cit., p.3657

44- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص: 1842

45- مجهول، مفاخر البربر، ص: 105

ويُرجّح تبعية المدينة في فترة زمنية محدّدة الى مرجعية إباضية، وربما وقع ذلك في زمن الرستميين، بعد أن زوّج عبد الرحمن بن رستم بنته أَرْوَى من أحد أمراء بني مدرار[46]. لكن ما لفت انتباهنا هي إشارة أوردتها إحدى المصادر الإباضية على لسان أبي عمار عبد الكافي التناوتي، قوله: "عَامَ فُتِحَتْ سِجِلْماسَةْ، واجتمع جوامع وارجلان إلى تْمَاوَاطْ"[47]، وهو قول يثير تساؤلاً حول حقيقة حكم الإباضيين لسجلماسة في زمن معيّن. بينما بعض الإشارات المصدرية السنيّة التي تعتبر أن بعض أمراء سجلماسة من الإباضية هو قول يدخل في سياق الخلط التي وقعت فيه تلك المصادر وعدم استيعابها للحدود الفاصلة بين المذاهب الثلاث: الصفري والإباضي والمعتزلي.

2.5.فروعها وأعلامها

من المعلومات المهمّة التي زوّدنا بها صاحب المخطوط، ذكر الامتداد الجغرافي للجماعات الوهبية "حدود منازل أهل الدعوة من طرابلس قصر مانو، ومن المغرب زناتة ومانو، ومن البحر صقيلية قصريانو، ومن القبلة وارجلان"[48]، فهو بهذا التعريف يفرق بين التحديد العام والتحديد الخاص. ففي حالة التحديد العام لا يلتزم فيه بالاتجاهات المعروفة: شمال، جنوب، شرق، غرب. فالشرق بالنسبة له هي طرابلس، والغرب هو زناتة، والشمال هو صقيلية، والجنوب هو القبلة.

ويبدو أن التحديد الخاص هو الأهم، حيث يذكر مركز استقرار الجماعات الوهبية، فأقصى مركز في الشرق هو قصر مانو، وفي الشمال قصريانو (يقصد قصريانة المدينة الصقيلية)، وفي الجنوب وارجلان. ومن المؤكد أن الجماعات الإباضية لا تستحوذ على كل هذا الحيز الجغرافي، لكنه يقصد ربما تحديد أقصى

46- تزوجها أحد أبناء أبي منصور اليسع، ويسمّى مدرار، ثم ولدت منه ميمون، وعرف باسم ميمون بن الرستمية. انظر: محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، دار العودة، لبنان، 1976م، ص.91-92

47- الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص.577

48- انظر وصف الزهري لحدود عمل القيروان: "وآخر عمل القيروان في الجنوب **مدينة وارقلان**، وفي الشمال **ساحل البحر**، وفي الشرق جبال برقة **وجبال نفوسة**، وفي المغرب **جبال وانشريس**، والله أعلم بذلك" الزهري. أبي عبد الله محمد (ت. أواسط ق.6هـ)، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثاقفة الدينية، مصر، (د.ت)، ص.112. فهل كانت حدود المجالات الاباضية هي نفسها حدود افريقية التي عبّر عنها الزهري بعمل القيروان؟

نقطة يمكن أن تتواجد فيها جالية إباضية. قد نستوعب بسهولة التواجد الإباضي في الشرق (قصر مانو)،[49] وفي الجنوب (وارجلان)، في حين يحتاج الأمر إلى تدقيق في حالة الغرب (زناتة ومانو)[50].

ويمثل المخطوط الذي بين أيدينا نموذجا مثاليا لتأكيد غلبة الانتماء الزناتي على المجالات الاباضية؛ إذ يحتوي على **379** علماً، موزعين حسب انتماءاتهم القبلية، وتشكل قبيلة زناتة العدد الأكبر من الأعلام، بـ: **149** فقيه ونسبة **39.31**٪، وتليها على التوالي قبيلة نفوسة بـ: **76** علم ونسبة **20.05** ٪، وقبيلة مزاتة بـ: **66** علم، ونسبة **17.41** ٪، وتليها قبائل هوارة وتناوتة ولواتة بنسب أقلّ[51].

ويعمد صاحب المخطوط إلى سرد مجموعة من الأعلام ثم ينسبهم إلى أحد فروع قبيلة زناتة، وقد أحصينا له **26** فرعاً زناتيا، وهي: بني ويسيان، بني ايراسن، بني مسغرين، بني زمور، بني تولانة، بني ينجاسن، بني كاروا، بني وغلانت، بني يكشن، وبني يروتن، بني صاوين، بني سيتمولي، بني ستيتن، ورغمة، بني عفجاسن، بني وراغن، بني نصير، بني زادنين، بني مادغاسن، بني موسى، بني واشية، تزارونة، عيبيان، بني وليل، بني واجرين. وكانت مغراوة،

49-تتكرر هذه التسمية في المصادر الاباضية لارتباطها بالمعركة التي كانت بين نفوسة والأغالبة سنة 283هـ/896م، ثم انتهت بهزيمة نفوسة، وكانت نفوسة حينها هي عماد الجيش الرستمي، فبانهزامهم ازداد ضعف الدولة الرستمية. عرّف أبو زكرياء الموقع قائلا: "الموضع المعروف بمانوا، وهو قصر من قصور الأولين على ساحل البحر." أبي زكرياء. يحي بن ابي بكر (ت.471هـ/1078م)، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1982م، ص 156؛ وعبّر عنها الدرجيني بيوم وقعة قصر "مانو". الدرجيني. أبو العباس أحمد (ت. حوالي 670هـ/1271م)، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، (د.ن)، (د.م)، (د.ت)، ج2، ص 324.

50-ومانو أو بنو ومانو من بطون زناتة المعروفة في المصادر الوسيطة، لكن ذكرهم في المصادر الإباضية يكاد يكون منعدماً، ممّا يطرح التسائل حول علاقة هذه القبيلة بالمذهب الإباضي، وهذا المخطوط الذي بين أيدينا وعلى الرغم من تفصيله حول بطون وفروع زناتة، لا نجد فيه ذكراً لهذه القبيلة.

51- انظر: حاج عيسى إلياس: "**الدلالات الطوبونيمية والقبلية على ضوء مخطوط "تسمية مشايخ الوهبية" لمؤلف إباضي مغربي مجهول (ق.6هـ/12م)**"، مجلة المواقف، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، المجلد 15، العدد 02، ديسمبر 2019، (ص ص: 121-150)

هي الوحيدة التي عبّر عنها بلفظ مشيخة مغراوة[52]، تعبيرا عن الحضور والقوة والتأثير، وهو نفس ما عبّر عنه الوارجلاني في قصيدته الحجازية، حين قال:

ومغراوة عليا زناتة كلّها وغيرهم من خير أهل الجزائر[53]

وتمثل الكثير من هذه الفروع، مجالات مبهمة في تاريخ زناتة؛ إذ لا تهتم بها ولا تذكرها كتب التاريخ الكبرى، ممّا يجعل هذا النوع من الكتب المذهبية، ذات فائدة كبيرة في كشف العديد من الجوانب الهامشية من تاريخ المغرب خلال العصر الوسيط.

الخاتمة

إن الحديث عن الانتماء المذهبي لبطون زناتة أمر نسبي؛ إذ يصعب الجزم بالانتماء الكلّي للقبيلة، خاصة الكبرى منها، مثل بنو يفرن ومغراوة، كما يمكن التفريق بين الانتماء المذهبي لأمراء زناتة لدوافع سياسية، وبين الانتماء الحقيقي للأتباع.

فقد مات محمد بن خزر على ولاء سياسي للفاطميين الشيعة، ممّا يقتضي حدًّا أدنى من الالتزام المذهبي "الشكلي". في حين كان ولاء أبنائه وأحفاده في الغالب لصالح الأمويين. وينقل ابن خلدون عن ابن حزم عن أحد نسابة زناتة وهو أبو بكر بن يكنى البرزالي الاباضي، قوله: أن بني واسين وبنو برزال كانوا إباضية، وأن بنو يفرن ومغراوة كانوا سنية، وهو ما يتوافق مع قول ابن خلدون من أن مغراوة وبنو يفرن كانوا جيرانا للرستميين ودخلوا في خدمة الأدارسة، بعد استيلائهم على تلمسان سنة 173هـ، وحارب بنو يفرن ومغراوة الرستميين. ويُفهم من تكرار ابن خلدون أن الأدارسة أقاموا دولتهم على أكتاف بنو يفرن ومغراوة.[54]

ويظهر لنا الانتماء المالكي لمغراوة بشكل واضح من خلال علاقة أمرائها مع الدولة الأموية في الأندلس، ومحتوى الرسائل، التي تكشف عن انتماء مذهبي مشترك بين القوّتين.

52- مجهول، ذكر أسماء بعض شيوخ الوهبية، طبعة حجرية، مكتبة دار التلاميذ "اروان"، العطف، غرداية، الجزائر

53- الوارجلاني. رحلة الوارجلاني، ص: 38

54- ابن خلون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص: 1847، 2064، 2067

وفي الجانب السياسي، تجسّدت الزعامة في زناتة في الغالب، عند بيوتات معيّنة، منها التي تعاقب فيها الحكم والجاه، مثل عائلة آل خزر من مغراوة، الذي توارثوا الإمارة في ستّة أجيال.

كما استفادت زناتة من تراكمات المعارضة، واستفادت من تراكمات التحالفات مع الكيانات السياسية، تحالف بنو خزر مع الأمويين في الاندلس، وتحالف بني عبد الواد مع الموحدين، أكسبهم نضجا سياسيا وتقبلا لأنظمة الحكم ومواكبه ورایاته وأعلامه، مما نقلهم من إمارة القبيلة إلى إمارة الدولة، وهو ما ستجسّده دولتي بني عبد الواد وبني مرين.

المصادر والمراجع:

البكري. أبي عبيد (ت.487هـ/1094م)، كتاب المسالك والممالك، ج.2، تح: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992.

بوراس يحي، قرى وأسماء مواضع في إقليم وارجلان من خلال ثلاثة مصادر تاريخية، حوليات المتحف الوطني للآثار، الجزائر، ع:10، 1422-2001، ص ص: 90-134

حاج عيسى إلياس، الدلالات الطوبونيمية والقبلية على ضوء مخطوط "تسمية مشايخ الوهبية" لمؤلف اباضي مغربي مجهول (ق.6هـ/12م)، مجلة المواقف، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، المجلد 15، العدد 02، ديسمبر 2019، (ص ص: 121-150)

ابن حوقل النصيبي. أبو القاسم، صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن-هولندة، 1939،

ابن خلدون. أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن (ت.808 هـ/1405م)، تاريخ ابن خلدون، ج2، مرا: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، لبنان، 1434 هـ/ 2013م

الدرجيني. أبو العباس أحمد (ت. حوالي 670هـ/1271م)، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، (د.ن)، (د.م)، (د.ت)

أبو زكرياء. يحي بن ابي بكر (ت.471هـ/1078م)، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1982م

الزهري. أبي عبد الله محمد (ت. أواسط ق.6هـ)، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثاقفة الدينية، مصر، (د.ت)

عبدلي زوبيدة/هيصام موسى، قبيلة مغراوة الزناتية في ظلّ الصراع بين الأمويين بالأندلس وبني زيري الصنهاجيين حلفاء الفاطميين ببلاد المغرب (361-391هـ/971-1001م)، مجلة عصور الجديدة، مجلد11، العدد2 (جوان) 1442هـ/2021م

ابن عذاري المراكشي (ت. بعد 712 هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح: ج.س.كولان وإ.ليفي برفنسال، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2009

بن عميرة محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م

غوتييه. إميل فيليكس، ماضي شمال افريقيا، تر: هاشم الحسيني، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010م

مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط-المملكة المغربية، ط1، 2005
مجهول، تاريخ وارجلان (مخطوط: ورقتين)، نسخة مصورة عند الباحث.
مجهول، ذكر أسماء بعض شيوخ الوهبية، طبعة حجرية، مكتبة دار التلاميذ "اروان"، العطف، غرداية، الجزائر
محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، دار العودة، بيروت-لبنان، 1976م.
المعموري محمد عبد الله ومحيميد أحمد جاسم، قبيلة زناتة وأثرها في حركة الخوارج في المغرب العربي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع15، 2015
الوارجلاني. أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي (ت.570هـ/1175م)، رحلة الوارجلاني، تح: يحي بن بهون حاج امحمد، mps، الجزائر، ط1، 2006
الوسياني. أبو الربيع سليمان بن عبد السلام (ق: 6هـ/12م)، سير الوسياني، ج1، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 2009

- A. Khelifa, « Maghraoua - Maghrâwa (Tribu) », Encyclopédie berbère [En ligne], 30 |, Éditeur Peeters Publishers, 2010
- C. Agabi, « Ifren (Beni) », Encyclopédie berbère [En ligne], 24 | 2001, Éditeur Peeters Publishers, URLhttp://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/1543